المبحث الأول: التفتازاني وكتابه "المطول"

التعريف بالتفتازاني:

اسمه ومولده[1]:

الإمام سعد الدين التفتازاني (722هـ – 792هـ)، عالم مسلم.

هو سعد الدين مسعود بن عمر بن محمد بن أبي بكر بن محمد بن أبي سعيد الغازي التفتازاني، الفقيه المتكلم النظار الأصولي النحوي البلاغي المنطقي. ولد بقرية قرية تفتازان من مدينة نسا في خراسان في صفر سنة 722 هـ في أسرة عريقة في العلم حيث كان أبوه عالماً وقاضياً وكذا كان جده ووالد جده من العلماء.

صفاته:

يعد سعد الدين التفتازاني من أئمة التحقيق والتدقيق ولقد برز في النحو والصرف والمنطق والمعاني والبيان والأصول والتفسير وعلم الكلام وغيرها من العلوم،كما انتهت إليه رئاسة العلم في المشرق في زمنه وفاق ببراعته وأعماله أقرانه، وكان يفتي بالمذهبين الشافعي والحنفي وانتهت إليه رياسة الحنفية في زمانه.

شيوخه:

- عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار الإيجي المتوفى سنة 756 هـ قاضي قضاة المشرق وشيخ الشافعية ببلاد ما وراء النهر، وقد لازمه السعد ملازمة تامة وعليه تخرج في علم الكلام والأصول والمنطق والبلاغة وكان كثير الثناء عليه.

[1] عبد الكريم الزبيدي: مقدمة "إرشاد الهادي" للتفتازاني، رسالة دكتوراه من جامعة أم القرى بعنوان "التفتازاني وموقفه من الإلهيات" الفصل الثاني. ص 9– 44

- قطب الدين محمود –أو محمد– بن محمد نظام الدين الرازي التحتاني[1] تمييزًا له عن آخر كان يسكن معه بأعلى المدرسة الظاهرية– المتوفى سنة 766 هـ.
- بهاء الدين السمرقندي الحنفي.
- ضياء الدين عبد الله بن سعد الله بن محمد عثمان القزويني الشافعي المعروف بالقرمي وبابن قاضي القرم المتوفى سنة 780 هـ.

تلامذته:

تتلمذ على السعد جملة من طلبة العلم نبغ منهم كثير ومنهم:

1. حسام الدين حسن بن علي بن حسن الأبيوردي الخطيبي (761– 816هـ) أخذ عنه علوم المعقول.
2. حيدر بن أحمد بن إبراهيم الرومي الحنفي المعروف بشيخ التاج (780– 854هـ).
3. علاء الدين علي بن موسى بن إبراهيم الرومي الحنفي (756– 841هـ).
4. محمد بن عطاء الله بن محمد الرازي الشافعي قاضي القضاة (767– 829هـ).
5. شمس الدين محمد بن فضل الله بن مجد الدين الكريمي (773– 861هـ).
6. علاء الدين محمد بن محمد بن محمد بن محمد البخاري الحنفي (770– 841هـ).

جمال الدين يوسف بن ركن الدين مسيح الأوبهي الخراساني السمرقندي

مؤلفات التفتازاني:

[1]أحمد بن علي المقريزي تقي الدين المقريزي، درر العقود الفريدة،تح محمود الجليلي، دار الغرب الإسلامي ،ط1، 1423 هـ 2002 م: 3–471

ترك السعد التفتزاني كتبًا كثيرة ورسائل ومخطوطات تدل على علو كعبه وغزير علمه, حتى أصبحت كتبه في علم الكلام والأصول والمنطق والبلاغة مورد الباحثين والدارسين ومنتهى طلب المتخصصين وأضحت هي كتب الدرس في جل المعاهد والمدارس العلمية، فاشتهرت تصانيفه في الأرض وانتشرت بالطول والعرض، ومن أهم مصنفاته:

1. شرح تصريف الزنجاني. وهو شرح لمتن التصريف المشهور بالعزيوالذي وضعه عز الدين إبراهيم بن عبد الوهاب بن عماد الدين بن إبراهيم الزنجاني (ت:655هـ) وقد شرحه السعد سنة 738هـ وأتمه في شهر شعبان وله من العمر ست عشرة سنة تقريبًا وهو أول مصنفاته. وقد اشتهر هذا الشرح وله نسخ خطية متعددة، وأول طبعه كان بالقسطنطينية سنة 1253هـ ثم طبع بطهران ودهلي وبمومباي ولكنو ثم بالقاهرة سنة 1307هـ كما كتب عليه العلماء بعض الحواشي.
2. إرشاد الهادي. وهو كتاب في النحو فرغ منه في خوارزم سنة 774هـ وهو متن مختصر على غرار الكافية لابن الحاجب. وقد طبع محققًا بمطبعة دار البيان العربي بجدة عام 1405هـ كما كتب عليه العلماء شروحًا.
3. الشرح المطول على تلخيص المفتاح. ويعرف بـ"المطول" وهو شرح على كتاب "تلخيص المفتاح" لجلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر القزويني (ت:739هـ) والذي هو تلخيص للقسم الثالث من كتاب "مفتاح العلوم" لسراج الدين يوسف السكاكي (ت:626هـ) والمتعلق بعلم المعاني والبيان. وقد بدأ السعد شرحه ذاك بخوارزم يوم الاثنين الثاني من رمضان سنة 742هـ وله وقتها من العمر قرابة العشرين ثم فرغ منه بهراة يوم الأربعاء الحادي عشر من شهر صفر سنة 748هـ ويقال إن السلطان تيمورلنك علق الكتاب على باب قلعة هراة، واشتهر الكتاب وكثرت نسخه وقد طبع بالقسطنطينية سنة 1260هـ ثم في لكنو وطهران ودهلي ثم تكرر طبعه، وقد تلقى العلماء هذا الشرح بالقبول التام والاهتمام البالغ وأولوه عناية فائقة فدرسوه ووضعوا عليه الحواشي.
4. الشرح المختصر على تلخيص المفتاح. ويعرف بمختصر المعاني، وهو اختصار لكتابه المطول السابق ذكره كما قال السعد في خطبته، وقد فرغ منه سنة 756هـ وقد اعتمد

هذا المختصر أساسًا للتدريس في الأزهر وفي جملة من معاهد العلم، كما كتبت عليه الحواشي الوافرة الكثرة والتي تدل على عظم اهتمام العلماء به. وقد طبع الكتاب أولا بكلكتا سنة 1813م ثم في لكنو 1261هـ ثم بالقاهرة بمطبعة بولاق سنة 1271هـ مع حاشية الدسوقي ثم تكرر طبعه بعدها.

5. شرح القسم الثالث من مفتاح العلوم. وهو شرح مباشر للقسم الخاص بعلم المعاني والبيان من مفتاح السكاكي ، وهو من أواخر كتبه وقد فرغ منه قبيل وفاته بسنوات، وفرغ منه بسمرقند في شوال سنة 789هـ وقد اشتهر هذا الشرح وذاع إلا أنه لم يطبع حتى الآن.

6. التلويح إلى كشف حقائق التنقيح. وهو حاشية على كتاب التوضيح شرح متن التنقيح وكلا الشرح والمتن لصدر الشريعة عبد الله بن مسعود المحبوبي (ت:747هـ) وقد فرغ منه بكلستان –مدينة بتركستان– في يوم الاثنين من شهر ذي القعدة سنة 758هـ وقد بلغ من العمر ستا وثلاثين سنة وهو كتاب ماتع حافل يقطع بفضل السعد ووفور عقله وعلمه. وقد أنزل العلماء الكتاب المنزلة اللائقة به فأولوه اهتمامًا وعناية فائقة فدرسوه في معظم معاهد العلم ووضعوا عليه الحواشي والتعليقات. وقد طبع الكتاب أولا في دهلي سنة 1267هـ ثم في لكنو 1281هـ مع التوضيح ثم في الأستانة ثم طبع بالقاهرة بالمطبعة الميمنية سنة 1327هـ.

7. الحاشية على شرح عضد الدين الإيجي على مختصر المنتهى لابن الحاجب: وهو شرح على "مختصر منتهى السول والأمل في علمي الأصول والجدل" للإمام جمال الدين أبي عمرو عثمان بن الحاجب (ت:646هـ) وقد شرح هذا المختصر عدة شروح من أفضلها شرح عضد الدين الإيجي شيخ السعد فحشاه السعد بهذه الحاشية الرائقة الفائقة، وقد فرغ منها بخوارزم في ذي الحجة من سنة 770هـ وقد طبعت هذه الحاشية مع شرح العضد مع حاشية السيد الشريف الجرجاني بمطبعة بولاق سنة 1319هـ.

8. المفتاح. وهو في فروع الشافعية ويسمى أيضًا "مفتاح الفقه" وقد شرع فيه بسرخس سنة 782هـ على الأرجح وتوفي قبل إتمامه فأتمه حفيده يحيى بن محمد بن السعد، والكتاب لم يطبع إلى الآن.

9. مختصر شرح تلخيص الجامع الكبير. والجامع الكبير في الفروع ألفه محمد بن الحسن الشيباني (ت:187هـ) ولخصه جملة من العلماء منهم كمال الدين محمد الخلاطي

(ت:652هـ) وعلى هذا التلخيص عدة شروح منها شرح الإمام مسعود الغجدواني فعمد السعد إلى هذا الشرح وشرع في اختصاره وتلخيصه فتوفي قبل أن يتمه، وقد شرع فيه بسرخس سنة 786هـ على الأرجح. وهذا الكتاب لم يطبع إلى الآن.

10. الحاشية على الكشاف. وهي حاشية على تفسير الكشاف للزمخشري وهي غير تامة شرع فيها بسمرقند في شهر ربيع الآخر سنة 789هـ ووافاه الأجل قبل إتمامها، وقد أطرى حاجي خليفة هذه الحاشية إطراء طويلا وذكر أنه ليس لها نظير. وقد اعتنى بها العلماء وزانوها بالدرس والتعليق ووضع عليها بعضهم الحواشي. ولا زالت الحاشية مخطوطة ولم تطبع.

11. شرح الرسالة الشمسية. وهو شرح على رسالة مختصرة في المنطق ألفها نجم الدين علي بن عمر الكاتبي القزويني (ت:675هـ) وقد ألفها للخواجة شمس الدين الجويني ولذا سميت بالشمسية، وشرح السعد من أهم شروح متن الشمسية. وقد طبع في لكنو سنة 1326هـ ، ولم يطبع مع المجموع المشهور ضمن شروح الشمسية في مصر، لكنه طبع حديثا (2011) في الأردن وصدر عند دار النور في عمان.

12. غاية تهذيب الكلام في تحرير المنطق والكلام: وهو متن متين مختصر العبارة كثير المعاني والفوائد وجعله على قسمين: قسم في المنطق وقسم في علم الكلام، وقد ألفه بسمرقند في رجب سنة 789هـ وقد أقبل العلماء على قسم المنطق به فانتشر واشتهر ودرس في معاهد العلم المعتبرة زمنًا طويلا وصنفت عليه الشروح وفاقت العناية به القسم الكلامي الذي لم يحظ بمثل ذلك الاهتمام والشروح، وقد طبع الكتاب أولا في كلكتا سنة 1243هـ مع شرح اليزدي ثم تكرر طبعه مع شروح مختلفة بعد ذلك من أشهرها طبعة مصطفى الحلبي سنة 1355هـ مع شرح الخبيصي وحاشيتي الدسوقي والعطار.

13. شرح العقائد النسفية. وهو شرح على متن العقائد الذي وضعه الإمام نجم الدين أبو حفص عمر بن محمد النسفي (ت:537هـ) والذي تعددت شروحه إلا أن شرح السعد هو أعظمها شهرة وأكثرها قبولا واهتمامًا وعناية من العلماء وقد تقرر للتدريس في جملة من معاهد العلم الشرعية المعتبرة حُقبًا من الزمن، وقد أتمه السعد بخوارزم في شعبان سنة 768هـ.

14. المقاصد. وهو متن مختصر في علم الكلام متين العبارة جيد السبك.

15. شرح المقاصد. وهو شرح على المتن السابق، وقد فرغ السعد من المتن وشرحه بسمرقند في ذي القعدة سنة 784هـ، وهو من أعظم كتب علم الكلام على الإطلاق إلا أن أسلوبه يميل إلى الصعوبة، وقد اعتنى به العلماء وكتبوا عليه الحواشي، وقد طبع المتن مع شرحه بإستنبول سنة 1305هـ ثم تعددت طبعاته.

16. النعم السوابغ في شرح الكلم النوابغ. كتاب في فقه اللغة شرح فيه كتاب الزمخشري "نوابغ الكلم" وقد طبع الكتاب بالقاهرة بمطبعة وادي النيل سنة 1287هـ ثم في بيروت سنة 1306هـ.

المفتاح والتلخيص:

أولاً- مفتاح العلوم للسكاكي:

1-التعريف بالمؤلف:

يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب، سراج الدين[1]، أحد أئمة العربية في عصره، عالمٌ فذ في النحو والتصريف والمعاني والبيان والعروض والشعر وغير ذلك.

ولد في سنة (555هـ) جمادى الأولى، وتوفي بخوارزم سنة (626هـ)[2].

له مصنفات عدة في اللغة والأدب منها: مفتاح العلوم، ورسالة في علم المناظرة' ومصحف الزهرة.

قال السيوطي: «قال ابن فضل الله في المسالك: ذو علوم سعى إليها فحصّل طرائقها، وحفر تحت جناحه طوابقها، واهتز للمعاني اهتزاز الغصن البارح، ولزّ من تقدمه في الزمان لزّ الجذَع؛ فأضحى الفضل كله يُزم بعنانه، ويزم السيف ونصله بسنانه»[3].

وقال عنه ياقوت الحموي: «علامة إمام في العربية والمعاني والبيان والأدب والعروض والشعر، متكلم فقيه متفنن في علوم شتى، وهو أحد أفاضل العصر الذين سارت بذكرهم الركبان»[4].

2-التعريف بالمفتاح:

لقد عرف السكاكي في مفتاحه عن أسلافه بدقة الترتيب و حسن التبويب، ، فأتى كتابه في ثلاثة أقسام: الأول منها للصرف، والثاني للنحو والثالث للبلاغة بعلومها الثلاثة، وما يلحق بها من قافية وعروض وفصاحة وبلاغة ومحسنات، وهي كلها علوم يحتاج

---

[1] خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي الأعلام، دار العلم للملايين، ط15، 2002: 8/ 222.

[2] نفسه: 3/ 105.

[3] جلال الدين السيوطي، بغية الوعاة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم،(دط) 1964.
2/ 364.

[4] شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تح : إحسان عباس الناشر :دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1414 هـ - 1993 م: 2/ 863.

إليها كل دارس لعلوم العربية في البلاغة والنقد، وقد اتسم كتاب مفتاح العلوم بالتعقيد وكثرة الحدود والتقسيم والتفريع ومع ذلك فقد سار العلماء على نهجه من بعده[1]، فقد «سار في دراسة هذا الفن على منهج علمي يتخذ من الفلسفة والمنطق وعلم الكلام أساساً يبني عليه التعريفات والتقسيمات»[2].

وقد غدا المفتاح من شهرته في قسمه الثالث الذي تناول السكاكي فيه علم المعاني والبيان وجعلهما حدّاً للبلاغة، ثم جعل البديع تابعاً لهما[3].

وقد جعل الطلب شاملاً للاستفهام والتمني والأمر والنهي والنداء علم المعاني قسم الكلام إلى خبر وطلب.[4]

أما الخبر فقد تناول فيه الإسناد الخبري والمسند والمسند إليه والفصل والوصل والإيجاز والإطناب.[5]

ثم انتقل إلى علم البيان ولم يُدخل التشبيه ضمنه, لأن دلالته . عنده . وضعية، وإنما علل دراسته في هذا الجزء بأن الاستعارة مبنية على التشبيه، وقد تبِع الرازي في ذلك[6]، ثم تناول الاستعارة والمجاز وقسمهما[7].

أ. منهجه في كتابه:

لاحظ الدكتور أحمد مطلوب أن السكاكي يكثر من الاستشهاد بآيات القرآن على عكس عبدالقاهر، يقول في ذلك: «وقد أكثر من الاستشهاد بالقرآن الكريم، وهذا أمر

---

[1] شوقي ضيف البلاغة وتطور وتاريخ،م دار المعارف، مصر1965م: 287– 288.

[2] أحمد مطلوب، *عبد القاهر الجرجاني .بلاغته ونقده*،وكالة المطبوعات الكويت الطبعة الأولى

[3] شوقي ضيف،نفس المرجع: 298.

[4] نفسه298.

[5] نفسه298.

[6] المرجع السابق: 301.

[7] نفسه: 303– 310.

طبيعي لأنه يريد أن يظهر ما في آيات الكتاب من روعة وإبداع وبلاغة، وقف أمامها العرب مسحورين، ويأتي الشعر في الدرجة الثانية»[1].

ومن الظواهر المتعلقة بهذا الموضوع, أن السكاكي يقتصر في الآيات على موضع الشاهد ماجعل الدكتور أحمد مطلوب يقول عنه: «وكان من أثر اهتمامه بالشكل أن قلل الشواهد، وبتر كثيراً من الأبيات الشعرية، فأصبحت مسخاً لايفهم منها القارئ شيئاً، إلا إذا كان حافظاً للشعر، أو رجع إلى مظانها يكمل ماقطع السكاكي منها...»[2].

فقد أوضح في مقدمته أن مراده كان جمع كلام السابقين، وتمييزه واختيار المناسب منه، وتلخيصه، وكان منهجه يختلف عن منهج عبد القاهر الواضح، يقول السكاكي في مقدمة مفتاحه: «وما ضمنت جميع ذلك كتابي هذا إلا بعد ما ميزت البعض عن البعض التمييز المناسب، ولخصت الكلام على حسب مقتضى المقام»[3].

وقد جاء مفتاح السكاكي إثر اطلاعه على أعمال أسلافه أمثال الجاحظ وقدامة بن جعفر، ويكفي القول إن الجرجاني (471هـ) بكتابيه (الأسرار) و (الدلائل) هو الأساس الذي أرسى عليه السكاكي قواعد القسم الثالث من كتابه مفتاح العلوم في البلاغة، فقد كانا غير واضحي الترتيب ولا ملخصين ، فانكب السكاكي الخوارزمي إلى النظم من تلك الدرر فألف كتابه المميز المسمى مفتاح العلوم في علوم العربية وجعل القسم الثالث منه الذي هو المقصود من التأليف, مسائل البلاغة, دوّنها على طريقة علمية صالحة للتدريس والضبط، بعد الاستفادة من التلخيص الذي وضعه الرازي (606 هـ) على كتابي الجرجاني والمسمى «نهاية الإيجاز ودراية الإعجاز من أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز»، ومن مسائل الكشاف في تفسير القرآن للزمخشري، فأصبح رمز الدرسين لهذا العلم وتتابع الأدباء خلفه بعده في التأليف في هذا العلم الجليل، وصار كتاب مفتاح محوراً لتآليفهم وشروحهم منها:

---

[1] أحمد مطلوب، البلاغة عند السكاكي، مكتبة النهضة ببغداد. : 183.

[2] نفسه: 183.

[3] ابو يعقوب يوسف السكاكي مفتاح العلوم،تح د. اكرم عثمان يوسف ،منشورات جامعة بغداد، مطبعة دار الرسالة،ط1، بغداد ، 1402 هـ / 1982 م: 6.

1. «المصباح في علوم المعاني والبيان والبديع» لبدر الدين محمد بن جمال الدين بن مالك، فقد لخص فيه القسم الثاني، وله الفضل في تسمية القسم الثالث من علوم البلاغة بالبديع بعد أن كان يسميه السكاكي محسنات[1].
2. ومن أبرز الشروح كتاب «التلخيص» لجلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني (739هـ)، الذي لخص فيه القسم الثالث من كتاب مفتاح العلوم للسكاكي[2].
3. كتاب «الإيضاح» للإمام القزويني، فقد وضعه شرحاً للتلخيص.

ب. رأي العلماء في جهده:

1. يقول شوقي ضيف عن المفتاح: «وبذلك يتم تلخيص السكاكي لعلمي البلاغة: المعاني والبيان وما ألحقه بهما من الفصاحة المعنوية واللفظية وما يتبعهما من المحسنات البديعية، وهو تلخيص أشاع فيه كثيراً من العسر والالتواء، بسبب ماعمد إليه من وضع الحدود والأقسام المتشعبة ... وحقاً استطاع السكاكي أن يسوّي من نظرات عبدالقاهر والزمخشري علمي المعاني والبيان، ولكن بعد أن أخلاهما من تحليلاتهما الممتعة البارعة للنصوص الأدبية، وبعد أن سوى قواعدهما تسوية منطقية عويصة، حتى ليصبح المنطق وأيضاً الفلسفة جزءاً منهما لا يتجزأ، وحتى ليحتاج كتابه في هذا القسم إلى الشرح تلو الشرح ... وكل شارح يضيف من أصباغ المنطق والفلسفة وعلم الكلام ماتمده به ثقافته، وكان ذلك كله إيذاناً بتحجر البلاغة وجمودها جموداً شديداً، إذ ترسبت في قواعد وقوالب جافة، وغدا من العسير أن تعود إليها حيويتها ونضرتها القديمة»[3].
2. يقول مازن المبارك عن منهج السكاكي في المفتاح: «فإذا عرفنا أن السكاكي كان متأثراً بثقافته النحوية والمنطقية والكلامية، وعرفنا أنه صبغ البلاغة في كتابه بصبغة هذه العلوم، عرفنا سبب طغيان القوالب والحدود على علوم البلاغة، وعرفنا سبب التعقيد الذي أصابها عنده وعند من قلده وحذا حذوه»[4].

---

[1] شوقي ضيف البلاغة وتطور وتاريخ: 315- 316.

[2] نفسه335.

[3] شوقي ضيف البلاغة وتطور وتاريخ: 313.

[4] مازن المبارك، الموجز في تاريخ البلاغة، دار الفكر دمشق،(دط)، (دت): 111.

3. يقول أحمد المراغي: «وهكذا تراه يسير قدماً في حشو كتابه بالمصطلحات المنطقية، فيذكر الألوان والطعوم والروائح والحواس ومقارها، والوهم والخيال والحس المشترك والوجدان، والكلام على الفاعل القيقي واختلاف الآراء في ذلك، ومع كل هذا فقد كان قلمه أثارة من الأسلوب الأدبي الذي درج عليه من سبقه من المؤلفين في علوم الفصاحة»[1].
4. فالسكاكي –على الرغم مما وصف به بأنه سبب جمود البلاغة العربية وعقم مباحثها –خاض كثيراً من القضايا الأسلوبية المهمة التي نحن في حاجة إليها الآن، ونتطلع لفهمها واستيعابها كي يسهل التعامل مع النصوص الأدبية الحديثة، والغوص في أعماق قيمها الأسلوبية والبلاغية,وذلك وفق منهج عربي أصيل، والظاهر أن تصنيف وتقسيم لمباحث البلاغة كان ضرورة علمية ومنهجية اقتضتها الحالة السائدة وظروف البلاغة العربية في مرحلة كانت يغلب فيها تداخل مباحثها وتفرقها, وكذلك حاجتها إلى الضبط والترتيب، وتلك خطوة واجبة و مهمة لإعطاء البلاغة العربية وجها علميا ومنهجيا، تؤتي ثمارها المرجوة في الدرس البلاغي والنقدي .

إن قضايا العدول اللغوي، ومراعاة مقتضى الحال، وتباين المقامات في استدعاء صور كلامية معينة، وارتباط القيم البلاغية والأسلوبية بالدلالات العقلية لا الوضعية، وانتظام حركتي المماثلة والمفارقة للصيغ البديعية وغيرها، لتشكل مجتمعة أساس البحث الأسلوبي اللساني، ومن ثم فإن محاولة الكشف عنها وتجلياتها في مفتاح العلوم ليقربنا من قواعد علم الأسلوب، ويجعلنا نشعر بنوع من الاطمئنان إلى موروثنا البلاغي، وما يزخر به من قضايا حداثية أصيلة تصلح لأن تشكل نظرية أسلوبية عربية خالصة، ومحاولة للكشف عن هذه القضايا الأساسية وغيرها.[2]

---

[1] أحمد مصطفى المراغى تاريخ علوم البلاغة، نشره مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر ،ط1، 1369 هـ – 1950 م: 32.

[2] أحمد مطلوب، البلاغة عند السكاكي، مكتبة النهضة ببغداد 7– 8.

- ثانياً: التلخيص:

1-التعريف بالخطيب القزويني:

جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر، يصل نسبُه إلى أبي دُلَف العجلي[1]، أحد قواد المأمون والمعتصم، وأحد المشتغلين بصنعة الغناء والكتابة والشعر في زمانه.

ويلقَّبُ بجلال الدين أبي المعالي، ولد في الموصل سنة (666هـ)، وأقام في بلاد الكرج التي سكنها ومصَّرها أبو دلف العجلي، وهي كورة بين همذان وأصبهان[1].

[1]عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني، معجم المؤلفين، مكتبة المثنى، بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت 109/8.

سكن جلال الدين هذه الناحية مع والده وأخيه، واشتغل وتفقه، وهو دون العشرين من عمره وليَ قضاءَ ناحيةٍ بالروم.

حوالي سنة 690هـ، قدم دمشق، فدرسَ أخوه إمامُ الدين في تربة أم الصالح، بينما تابع الجلالُ علومَه فسمع من الفاروتي: عز الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم الواسطي) والفاروتي، نسبة إلى فاروت من قرى واسط[2]، كما أخذ المعقول عن شمس الدين الأيكي: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن محمد الفارسي (697هـ)[3]، وخرَّج له البرزالي: القاسم بن محمد (739هـ) جزءاً من حديثه، وحدَّث به وتفقه.

وفي سنة 690هـ ناب عن أخيه إمام الدين قاضي القضاة في دمشق ، ثم ناب عن قاضي القضاة نجم الدين بن صَصْرى (728هـ)، في دمشق أيضاً، وكان ذلك سنة 705هـ، كما وليّ خطابةَ الجامع الأموي مدَّة.

ولاه السلطان الناصر محمد بن قلاوون على دمشق والخطابة بها، فلما وصل إلى دمشق باشر مهامَّه على أتمِّ وجه، وصرف مال الأوقاف والمحتاجين, وقيل فيه، هو ثالث من اجتمعتْ له الخطابة والقضاء بدمشق، وهم عماد الدين عبد الكريم بن عبد الصمد الحَرَسْتاني، وبدر الدين محمد بن جماعة، والجلال محمد القزويني[4].

وقد عَلاَ شأنه لدى السلطان إلى حدود بعيدة, ثم انتقل إلى قضاء مصر ، فحجَّ معه إلى الديار الإسلامية المقدسة، وقد كان من أهل الاحسان فأعطى إلى أهل مصر وإلى الشاميين أيَّما عطايا, وحظي من بالمكافآت والمرتبات ما يغنيه, وكان في باب السلطان ذخراً وملجأً لقاصديه من الشاميين، يساعدهم على مقاصدهم، يشفع لهم ويصلهم

---

[1]شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي معجم البلدان ، دار صادر، بيروت، ط2،، 1995 م : 4/ 446.

[2]تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي طبقات الشافعية الكبرى ، تح د. محمود محمد الطناحي، و د. عبد الفتاح محمد الحلو هجر للطباعة والنشر والتوزيع ، ط2،1413هـ: 15– 16.

[3]عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني، المرجع السابق: 9/ 118

[4] تقي الدين المقريزي المقفّى الكبير، تحقيق محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت سنة 1991: 1/ 39.

عند قدومهم وعند سفرهم، وما بين ذلك، وأحبه المصريون، وفتح لهم باب الاشتغال في الأصول.

لكن هذه السعادة الغامرة وذلك العز المطَّرد، لم يدوما على أبي المعالي، فسَرعان ما استفحل أمر أولاده في الفساد، ولا سيما ولده الأكبر عبد الله الذي تجاسر بما لا يُقدم عليه غيره، من الانهماك في اللهو، ومدِّ يده إلى أخذ الأموال في الولايات؛ فأخرجه السلطان إلى دمشق.

ثم عاد الخطيب إلى دمشق ، أعاده السلطان إلى دمشق قاضيَ القضاة لشدة حب له ، كما كان أولاً، ففرح الناس به، ولكنه أصيب بعلَّة ومرض لا شفاء له هي علة الفالج ، لم يتمتَّع بالمقام ، وتوفي منتصف جمادى الأولى من سنة 739هـ، وله ثلاث وسبعون سنة، ودُفن بمقبرة الصوفية بدمشق، وشيَّع جنازته خلقٌ عظيم، و لما كان فيه من الحِلْم والمكارم وعدم الشر وعدم مجازاة المسيء إلا بالإحسان, كثر التأسفُ عليه.

وقال: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، ومعظم ترجمته منقولة عن ابن حجر العسقلاني، مستغرباً انعدام نظمه الشعر، فيما عدا قوله: «لا أعلمه نظم شيئاً مع قوة باعه في الأدب».

وله من التصانيف: تلخيص المفتاح في المعاني والبيان، وهو من أجلِّ المختصرات فيه، وقد ملكْتُه بخطه الحسن المليح، ونُظمت في أرجوزة[1].

قال الذهبي: الحافظ شيخ الإسلام شمس الدين: «أفْتَى ودرَّس وناظر وتخرَّجَ به الأصحاب. وكان مليح الشكل فصيحاً، حسن الأخلاق، غزير العلم، وقال الإسنوي: كان

[1] جلال الدين السيوطي بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، تح العلامة محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، 1399هـ ، 1978م: 1/ 157.

فاضلاً في علوم، كريماً مقداماً ذكياً مصنفاً»[1]. «وكان حلو العبارة، أديباً بالعربية والتركية والفارسية، سمحاً، كثير الفضائل»[2].

أ. منزلة كتابيه:

لقد كانت علوم البلاغة لا تزال ترفد من كتابي دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة لمؤسس النظرية البلاغية وصائغها بامتياز . عبد القاهر الجرجاني . عندما وضع أبو يعقوب يوسف السكاكي، كتابه النفيس مفتاح العلوم، ولم يكن متوقعاً لهذا الكتاب أن يحظى بالعناية والاهتمام وتتناوله الأقلام، بمثل الذي تحقق على مدى الحقب والمراحل التي أعقبته.

لولا القسم الثالث منه، الخاص بعلوم البلاغة العربية،لما كان مفتاح العلوم بحد ذاته، عملاً جليلاً مميزاً، أما القسمان الأولان، المخصصان لعلمي الصرف والنحو، فلم يتجاوز أثرهما العلم والخبر لأهل زمانهما، إطلاعاً واتّساعاً لآفاق اللغة العربية.

لولا إقدامُ خطيب دمشق والقاهرة، وقاضي قضاتهما جلال الدين القزويني، على تلخيص القسم الثالث المشار إليه– بعد أن أُعجب به– وكشف خباياه من كنوز الدرس البلاغي, ما كان ليبلغ ما بلغه من البحث والاشتغال عليه، ، ما جعله أهم مراحل التحول والاستقرار للنظرية البلاغية، ثم وضح تلخيصه بكتابه الثاني (الإيضاح)[3].

2–التعريف بكتابيه:

أولاً: تلخيص المفتاح:

في سبب تأليفه يقول القزويني: «أما بعد، فلما كان علم البلاغة وتوابعها من أجلّ العلوم قدراً، وأدقها سراً، إذ به تعرف دقائق العربية وأسرارها، وتكشف عن وجوه الإعجاز في نظم القرآن أستارها، وكان القسم الثالث من مفتاح العلوم الذي صنَّفه العلامة "أبو

[1] عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ،تح أبو الفلاح،محمود الأرناؤوط دار ابن كثير، دمشق،ط2، 1406 هـ – 1986 م: 6/ 123.

[2] خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي الأعلام: 6/ 192.

[3] المبارك، الموجز في تاريخ البلاغة: 112.

يعقوب يوسف السكاكي" أعظم ما صُنِّف فيه من الكتب المشهورة نفعاً، لكونه أحسنها ترتيباً وأتمها تحريراً، وأكثرها للأصول جمعاً، ولكن كان غير مصون عن الحشو والتطويل والتعقيد، قابلاً للاختصار، ومفتقراً إلى الإيضاح والتجريد، ألفت مختصراً يتضمن ما فيه من القواعد، ويشتمل على ما يحتاج إليه من الأمثلة والشواهد ... وسميته تلخيص المفتاح»[1].

فإذا به . أي التخليص . يقف فقط على علوم البلاغة ووجوهها.

وقد رتّبها المصنِّف كما يلي، بعد الفوائد التي أضافها, ليصبح الكتاب من أعظم ما صُنّف في علم البلاغة نفعاً وتأثيراً:

. مقدمة وثلاثة فنون

*الفن الأول: علم المعاني، وفيه ثمانية أبواب:

1. أحوال الإسناد.

2. أحوال المسند إليه.

3. أحوال المسند.

4. أحوال متعلَّقات الفعل.

5. القصر.

6. الإنشاء.

7. الفصل والوصل.

8. الإيجاز والإطناب والمساواة.

*الفن الثاني: علم البيان، وفيه:

[1]الخطيب القزويني، التلخيص في علوم البلاغة تلخيص كتاب مفتاح العلوم للسكاكي تح د.عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية – بيروت (دت): 2– 3.

1. التشبيه.

2. الاستعارة.

3. الكناية.

*الفن الثالث: علم البديع، وقد جعله في فصلين.

الأول خاص بالمحسنات المعنوية ويتضمن كلاماً في ما يقرب من ثلاثين ضرباً بديعياً.

والثاني خاص بالمحسنات اللفظية ويتضمن كلاماً في نحو خمسة عشر ضرباً بديعياً.

فعاد القزويني ليضع كتابه الثاني الإيضاح حين رأى أن هذا الملخص لا يفي بالغرض، وأن التلخيص فيه زاد عن المطلوب، ، وهو من أحسن ماصنف المتأخرون في البلاغة.

يقول المراغي عن التلخيص: « ومن العجيب حقاً أن يدعي الخطيب القزويني أن كتابه تلخيص للمفتاح وحده، مع أنه ملخص من كتب عدة، فلعبد القاهر في كتابيه أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز فيه الشيء الكثير الذي يتضح وضوحاً تاماً بمراجعة الكتابين، كما للأمير بن سنان الخفاجي في سر الفصاحة حظ وافر من المقدمة...»[1].

ثانياً: الإيضاح:

يقول القزويني في سبب تأليفه: «أما بعد، فهذا كتاب في علم البلاغة وتوابعها . ويعني بها علم البديع والكلام في السرقات الشعرية . ترجمته بـ "الإيضاح" وجعلته على ترتيب مختصري الذي سميته "تلخيص المفتاح"، وبسطت فيه القول ليكون كالشرح له، فأوضحت مواضعه المشكلة، وفصلت معانيه المجملة، وعمدت إلى ما خلا عنه المختصر مما تضمّنه "مفتاح العلوم" وإلى ما خلا عنه المفتاح من كلام الشيخ الإمام عبد القاهر

[1] أحمد مصطفى المراغى تاريخ علوم البلاغة: 34.

الجرجاني في كتابيه "دلائل الإعجاز" و"أسرار البلاغة" وإلى ما تيسّر النظر فيه من كلام غيرهما، فاستخرجت زبدة ذلك، وهذبتها ورتبتها، حتى استقرّ كل شيء منها في محله، وأضفت إلى ذلك ما أدى إليه فكري، ولم أجده لغيري، فجاء بحمد الله جامعاً لأشتات هذا العلم»[1].

ولعل أهم مميزات الظاهرة لكتاب "الإيضاح" للخطيب القزويني :أنه أوضح الكتب المؤلفة فيه بحوث البلاغة نظاماً وأسلوباً، وهو أوفى كتاب فيها ، وهو كنز البحث والتعمق والاستنباط لأسرار البلاغة العربية، بالإضافة إلى كونه عزير المادة كبير الفائدة في الأدب والنقد والبيان والبلاغة،كتاب تطبيقي جليل في البلاغة، ينقد فيه القزويني كثيرا من آراء السكاكي، حتى أصبح المعول عليه في الدرس البلاغي منذ ظهر حتى هذه الأيام.

وهكذا وبصورة نظامية، يكون القزويني قد أرسى لأول مرة، قواعد علوم البلاغة ووجوه معالمها، مستفيداً من جميع الجهود العلمية المتقدمة التي حضرت لهذا الغرض، طوال القرون الستة السابقة، وما سادها من جهود تنظير، ومحطات تأسيس وتنوير، لدى كل مصنف أو عالم, وهذا يشير إلى أصالة ما طُرح وقدِّم من دراسات ومحاولات لتطوير الدرس البلاغي، من جهة، وعلى طواعية العربية وحسن تقبلها لأي جديد في نطاق ترسيخ الهويّة البلاغية، من جهة ثانية، وعلى سعة الأفق العلمي، والملكات اللغوية، وعمق الحسّ البلاغي الجمالي لدى الخطيب القزويني، من جهة ثالثة.

شروح التلخيص:

رأى الإمام القزويني أن عمله في التلخيص، لم يحقق الغرض المنشود من نشر فضيلة البلاغة العربية، فكان أول من قام بشرح "التلخيص" وهو نفسه، الذي عمل على بسْط موضوعاتها وقواعدها بين العامة والخاصة, فقام بوضع كتاب آخر، سمّاه: الإيضاح في المعاني والبيان، أو ما عُرف بإيضاح التلخيص، شرح فيه مبهم "التلخيص" وغوامضه، ورصعه بالأمثلة والشواهد الموضحة، وجعله على ترتيب كتاب "التلخيص"، وكان بذلك خير كتاب وضعَه القدماء في علوم البلاغة العربية.

[1] القزويني، الإيضاح:12.

يقول حاجي خليفة: «ولمّا كان هذا المتْنُ مما يُتلقَّى بحسْن التَّلقِّي والقبول، أقبلَ عليه معشر الأفاضل والفحول، وأكبَّ على درسه وحفْظه أولو المعقول والمنقول، فصار كأصله، محطَّ رحال تحريرات الرجال ومهبط أنوار الأفكار، ومزدحم آراء البال، فكتبوا له شروحاً»[1].

ومن أهم الشروح التي كتبت للتلخيص، بالاستناد إلى كشف الظنون[2].

◊ شرح الخلخالي: محمد بن مظفَّر (745هـ): تميَّز هذا الشرح بإحساس صاحبه أنه أول من أقدم على شرح "التلخيص" فسمَّاه: "مفتاح تلخيص المفتاح"، إذ أجاب فيه عن أجوبة ما اعترضَ به مؤلفُه فيه وفي كتابه: الإيضاح، على صاحب "المفتاح".

◊ شرح الزوزني: شمس الدين محمد بن عثمان بن محمد (792هـ).

◊ شرح التفتازاني: سعد الدين مسعود بن عمر (792هـ) وكان "شرحاً عظيماً ممزوجاً".

◊ شرح ثانٍ للتفتازاني، اختصر فيه أشياء وزاد فيه أشياء، وقد فرغ منه سنة 756هـ، بينما فرغ من الشرح الأول سنة 748هـ، سمَّى الأول: الشرح المطول، وسمّى الشرح الثاني، المختصر. "وهما أشهر شروحه وأكثرها تداولاً لِما فيها من حسن السبك ولطف التعبير".

تأثره وتأثيره:

لم يبتعد الخطيب كثيراً عن منهج شيخه السكاكي وقد تأثربه ، وكان كتابه تلخيصاً لأقوال السابقين، فهذب المفتاح وجمع أقوال عبدالقاهر في الدلائل، يقول في مقدمة الإيضاح: «فاستخرجت زبدة ذلك كله، وهذبتها ورتبتها، حتى استقر كل شيء منها في محله، وأضفت إلى ذلك مما أدى إليه فكري، ولم أجده لغيري»[3]، إلا أن للإيضاح فضل زيادة مما أضافه من أقوال عبد القاهر والزمخشري، وهذا واضح فيه.

---

[1] حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: 1/ 474.

[2] معظم المعلومات الواردة هنا والمتعلقة بشروح التلخيص، وحواشيه، ومنظوماته، مأخوذة من كشف الظنون: 1/ 474– 479.

[3] محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، الإيضاح في علوم البلاغة، تح محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت: 1.

ولم يخرج الخطيب عن دائرة السكاكي في عرض المسائل، فيبدأ بمقدمات وأسباب ودلائل، ثم يسرد الشواهد ويشرحها[1].

والحق أن كتاب الإيضاح أيسر بكثير من المفتاح، وأسهل عبارة.

كتاب المطول:

إن مفتاح العلوم من الكتب الأساسية في البلاغة للسكاكي، غير أن تلخيصه للخطيب القزويني لفت الأنظار عن الأصل إليه، فاهتم العلماء بشرح التلخيص. ومما يدل على ذلك كون التفتازاني شرحه شرحين، هذا أحدهما .
وقد أثبت كتاب التلخيص أولا في نحو مئة صفحة ثم "المطول" وهو شرح مختصر بين الإيجاز والتطويل، أتم فيه الشواهد المجزأة وضرب الأمثلة، وأعرب بعض المواضيع المشكلة، وشرح التعريفات ... وألحق بالكتاب فهارس

وكان من السابقين إلى شرح كتاب التلخيص سعد الدين التفتازاني، فوضع له شرحًا مطولًا سماه (المطول)، وشرحًا مختصرًا سماه (المختصر)، وكان سعد الدين من علماء العجم الذين تأثروا بالسكاكي في طريقته التقريرية، وفي ضعف أسلوبه لضعف سليقته العربية، بل كان هو وأمثاله ممن أتى بعد السكاكي من علماء العجم أضعف من السكاكي ذوقًا

[1] نفسه: 88.

وسليقة، فمضوا في الطريقة التقريرية إلى أن وصلوا إلى نهايتها في البعد عن الذوق الأدبي، ثم أخذوا ينشرونها هنا وهناك إلى أن غزت علماء العرب وغزت جميع العلوم من عربية إلى دينية إلى غيرها من العلوم، وصارت عنايتها بتقرير عبارات المتون أكثر من عنايتها بتقرير مسائل العلوم .

ثم تهافت المتأخرون من علماء البلاغة على شرحي سعد الدين على(التلخيص) يضعون عليها الحاشية بعد الحاشية، ويضعون على الحاشية التقرير بعد التقرير، وشغف المدرسون بتلك الكتب في الجامع الأزهر وغيره من الجامعات الإسلامية في الأقطار المختلفة، يتعمقون في درسها إلى أقصى حدود التعمق، وينتقلون في درسها من المتن إلى الحاشية إلى التقرير في استقصاء غريب، وتفنن في الفهم والبحث، ولو كان هذا في صميم مسائل البلاغة لهان الخطب، ولكن أكثره في بحوث خارجة عن هذه المسائل، وفي أسلوب ركيك يفسد ملكة البلاغة، فإذا كانت فيه فائدة قليلة فإنها تضيع في هذا الخضم الذي لا فائدة فيه. وقد تأبى كتاب (الإيضاح) وطريقته السابقة على المتأخرين من علماء البلاغة، فلم يضعوا عليه من الشروح والحواشي والتقارير مثلما وضعوا على كتاب (التلخيص) اللهم إلا شرحًا ضعيفًا للإقصاء، ولما كان كتاب (التلخيص) كالأصل لكتاب (الإيضاح) كان هذا مما يدعو قارئه إلى أن يرجع في كثير من مسائله إلى ما وضع على كتاب (التلخيص) من شروح وحواش وتقارير. لكن –وهذا من شديد ما يؤسف له– إذا رجع إليها غرق في ذلك الخضم من البحوث، التي ربما ضاع به ما يكتسبه من كتاب (الإيضاح) من ذوق أدبي لأن تلك الشروح والحواشي والتقارير تغطي عليه

"مطول" التفتازاني، الذي لا تخفى مكانته بين كتب البلاغة، فقد عدَّه أحد كبار البلاغيين ثاني اثنين في البلاغة العربية، بعد كتابي عبدالقاهر الجرجاني. وعلى أبعد تقدير فهو في مرحلة السكاكي ثالث ثلاثة، ومما يزيد في مكانته: ارتباطه بالكتابين الأولين، أعني: "مفتاح العلوم" للسكاكي، و"تلخيص المفتاح" للخطيب القزويني، فهو شرح للثاني، والثاني اختصار للأول، وعليهما قامت البلاغة علماً ذا أصول وقواعد.

كما تبدو أهمية هذا الكتاب من ناحية أخرى في كونه ليس شرحاً فحسب، بل فيه مناقشة لكثير من مسائل البلاغة، وتميّز في الرأي العلميّ، وإفادات من كلام الشيخ عبدالقاهر والزمخشري، إضافة إلى غيرهما من العلماء الذين تظهر أسماؤهم وآراؤهم في صفحات "المطول" وسطوره.